ISSN: 2253-0347
مجلــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 03 / السنة: 2021 / ص ص: 167-184

التغير الاجتماعي وعوائقه عند مالك بن نبي

Social change and its obstacles to Malik bin Nabi

تاريخ الإرسال: 2021 /06/30 تاريخ القبول: 2021 /08/04 تاريخ النشر: 2021/09/18

الزهرة بن عاشور [1] فوزية ساحي [2] صبيحة بوخدوني [3]

1 جامعة البليدة 02، لونسي علي، الجزائر ، ***Email :*** *zahra_blida@outlook.com*

2 جامعة البليدة 02، لونسي علي، الجزائر ، ***Email :*** *sahifouzia@yahoo.fr*

3 جامعة البليدة 02، لونسي علي، الجزائر ، ***Email :*** *sabib@live.fr*

الملخص:

يحتل مالك بن نبي في التراث العربي الإسلامي وفي الفكر الغربي المعاصر،مكانة متميزة ،فهو أحد الرواد الذين شيدوا البناء الفكري لصرح العلوم الإنسانية، ،ويُنظر إليه على أنه صاحب رؤية حضارية خاصة ،ولاسيما فيما يتعلق بدراسة التاريخ البشري، والمجتمع الإنساني، وغير ذلك من الحقول المعرفية.

ولقد عمل مالك بن نبي مع موضوع التغير الاجتماعي، نشوءا وتطورا.و يؤكد مالك بن نبي أن التغيير سمة ثابتة في المجتمع ولازمة أساسية من لوازمه ولا يحصل تطور الأفراد والمجتمعات. أردنا من هذا المقال توضيح أهم الأفكار التي جاء بها مالك بن نبي في فهم حركية الحضارة والمراحل التي تمر بها و أهم العوامل التي تؤثر فيها.

الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي؛حركية الحضارة؛ عوائق نفسية؛ عوائق ثقافية؛ عوائق اجتماعية.

المؤلف المرسل: الزهرة بن عاشور، ***Email :*** *zahra_blida@outlook.com*

Abstract:

Malik bin Nabi occupies a distinguished position in Arab Islamic heritage and contemporary Western thought, as he is one of the pioneers who constructed the intellectual building of the edifice of human sciences, and is seen as the owner of a civilized vision, especially with regard to the study of human history, human society, and other fields Cognitive.

Malik bin Nabi has worked with the issue of social change, evolution and development. Malik bin Nabi affirms that change is a constant feature of society and an essential necessity of its supplies, and the development of individuals and societies does not happen.

Key words: social change ; mobility of civilization ; psychological obstacles ; cultural obstacles ; social obstacles.

مقدمة:

إنّ دراسة التغير الاجتماعي من الاهتمامات المعاصرة لعلم الاجتماع، إلا أن الفلاسفة والمفكرين على مر العصور قد درسوا التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي و غيرها وتأملوه وطوروا بشأنه أفكارا ربما تكون قد شكلت الرصيد المعرفي الذي تطور من خلاله مفهوم التغير الاجتماعي الحديث. إذ أن التغير سمة مرتبطة بحياة الإنسان وأفكاره والتجمعات البشرية التي أقامها، فمبدأ التغير هو أحد المبادئ الأساسية التي ينهض عليها الوجود الاجتماعي بجوانبه الطبيعية وغير الطبيعية، فظواهر الكون الطبيعية تخضع للتغير كما أن الكائنات الحية التي تعيش داخل الإطار الطبيعي- الفيزيقي- في هذا الكون تخضع في حركتها وتطورها لمبدأ التغير. وعندما أسس الإنسان هذه التجمعات التي أطلق عليها مجتمعات، لم تكن أشبه بمجتمعاتنا المعاصرة الأشد تعقيدا، بل كانت تجمعات بسيطة أقل تعقيدا، ويعني ذلك أنّها خضعت لعملية تغير

بعيدة المدى، بل أنها ما تزال تخبر تغيرا جديدا في كل حقبة و التغير الاجتماعي في الواقع والفكر الإنساني مر بمرحلتين: (مصطفى، 1998)

1-مرحلة قبل التراث العلمي التقليدي لعلم الاجتماع.

2-مرحلة التفكير العلمي في علم الاجتماع الحديث.

2. **التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي:** فهو عملية بنائية مستمرة تسعى إلى تحويل الواقع الاجتماعي المختلف إلى تركيب حضاري متقدم مؤكد أن "التغير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة"، ويقصد بالصلات الضرورية هي شبكة العلاقات الاجتماعية التي هي نتاج تفاعل العناصر الثلاث: الأشخاص، الأفكار، الأشياء.

والتفاعل العضوي التاريخي بين عناصر المجتمع: الأفكار، الأشخاص، الأشياء يفرز لنا نماذج إيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص، والتغيير الاجتماعي يقع في المجتمع التاريخي وهو: "المجتمع الذي عدل من خصائصه ومعالمه الذاتية الأولية وفقا لقانون التغير، فهو مجتمع يتطور ويتحرك" (بن نبي، 2002، ص24)

في حين ينفي عملية التغيير الاجتماعي عن المجتمع الطبيعي وهو المجتمع الذي يعدل أو يغير من معالمه الشخصية، فهو مجتمع ساكن ذو معالم ثابتة يتفق مع حالة القبيلة الإفريقية قبل الاستعمار والقبيلة العربية في العصر الجاهلي وهو ما يتفق مع مرحلة مجتمع ما قبل التحضر" (بن نبي، 2002، ص148)

إن الحركية التي يعيشها مجتمع ما تمس جانبين من التغيير: تغيير ذاتي داخلي أي تغيير نفسه، وتغيير خارجي أي تغيير ما حوله" إن أي عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال شبكة علاقاته الاجتماعية بوصفها المهمة الأولى التي تحقق له توفير الصلات الضرورية بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء، وينجز من خلالها مهمته التاريخية" (نبي، 2002، ص148) وأكد بن نبي أن التغيير النفسي الذاتي

للإنسان هو شرط في كل تغيير اجتماعي" ذلك أن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه (فردا) إلى أن يصبح (شخصا) وذلك عن طريق إخضاع غرائزه بعملية شرطية ليس من شأنها القضاء على هذه الغرائز ولكن تنظمها في علاقة وظيفية وانضباطية سلوكية ضمن نطاق معين، وذلك عن طريق (الثقافة) بوصفها منهاجا تربويا تغييريا يبث في النفس روح المسؤولية" (بن نبي، 2002،ص124).

والتغيير النفسي الذاتي لا يكون اعتباطيا لأن الإنسان قبله كان خاملا متكاسلا يعيش حياة البساطة في مجتمع بدائي ساكن بمعنى عناصر الحضارة الثلاث: الإنسان، التراب والزمن راكدة وبدخول الفكرة الدينية السماوية، سيبدأ التغيير النفسي الذي يحول الفرد إلى شخص ليصل إلى تغيير اجتماعي لأن الدين مهدب ومنظم للغرائز داخل المجتمع وفق منهج تربوي ثقافي.

لقد أولى مالك بن نبي عند حديثه عن الثقافة بوصفها ظاهرة تخص أسلوب الحياة في مجتمع معين أو أمة معينة من ناحية، وكذا السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع أو تلك الأمة من ناحية أخرى "عملية تنظيم الأفكار في المجتمع أهمية كبيرة وأساسية، فهي إما أن تكون ببا في تقدمه المجتمعي الحضاري، أو أن تكون ذات وظيفة أخرى تؤدي به إلى الركود والفوضى والتخلف"[7] (لحرش،2006، ص172) "التغيير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء، جميعا ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته، ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة" هذه الصلات هي شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بالتفاعل بين العناصر الثلاثة: الأشخاص، الأشياء والأفكار.

ويفسر بن نبي أهمية عالم الأفكار في التغيير الاجتماعي كما يلي: "إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، فإذا ما تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الأخرى تتعدل في الاتجاه نفسه، إن الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معين، كما أن مختلف مراحله تطوره (أي المجتمع) هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري فإذا ما كانت إحدى

هذه المراحل تنطبق على ما يسمى بالنهضة، فإن معنى هذا أن المجتمع في هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار، وإن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من (مشكلاته) الحيوية حلا مناسبا" (بن نبي، 2002، ص10).

وإذا كان التغيير الاجتماعي لدى بن نبي لا يتم إلا من خلال تفاعل العوالم الثلاث: عالم الأشخاص، عالم الأفكار وعالم الأشياء، فلا يتم هذا التفاعل إلا بتدخل مركب الدين، فالدين هو المركب الكيميائي الذي يمزج العناصر الثلاث بعضها ببعض، وهو الذي ينقل المجتمع من حالته البدائية إلى الحالة التاريخية.

ويستلهم بن نبي نظريته التحليلية للمجتمع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إذ يعتبر نموذج المجتمع الإسلامي نموذج موحد ومتساو وخال من التعدد توافقا للحديث النبوي: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (رواه البخاري)، هذا الحديث الذي يجسد الصورة الواقعية التي كان عليها المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أي "قبل ظهور الحركة المذهبية التي قسمته خلال سيرورته التاريخية إلى مدارس وطواف (جماعات) (بن نبي، 2002، ص21).

ويضيف: نستطيع أن نفسر هذه الحركة التاريخية في إطار المجتمع الإسلامي بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع، أعني شروط حركته عبر القرون والواقع أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما: الوعد والوعد ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب على تحد روحي في أساسه".

وينطبق ذلك على الآيتين الكريمتين التاليتين:

1-قال الله تعالى: «فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» سورة الأعراف، الآية.

2-وقال تعالى: «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» سورة يوسف، الآية.

وبين الحدين-يضيف مالك بن نبي "تقف القوة الروحية متناسبة مع الجهد الفعال الذي يبذله مجتمع يعمل طبقا لأوامر رسالته، أعني طبقا لغايته" وهذه القوة

الروحية تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني لأنها مصدر الإثارة والتوتر" وهذا ما يدفع في الواقع إلى التركيز على أهمية ومكانة مقولة التوتر في البناء المجتمعي الحضاري عند مالك بن نبي، لأن التوتر (الحيوي الإيجابي) عندما يعتري المجتمع يتحول إلى طاقة فعالة مولدة وضامنة للقوة والنشاط، كذا مقياسا يحدد من خلاله مدى تباين المجتمعات في فعاليتها". (لحرش، 2006، ص84)

وربط بن نبي بين حالة التوتر الاجتماعي" فكل طاقة اجتماعية تصدر حتما من دوافع القلب، ومن مبررات وتوجيهات العقل ومن حركات الأعضاء...والفاعلية تكون أقوى الدوافع وأقوم التوجيهات وأنشط الحركات" (بن نبي، 2002، ص34). والغرض من التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي هو السير في طريق الحضارة، ولا يتم هذا التغيير إلا بوجود إرادة التغيير" إن بناء الحضارة هو قرار إنساني يعتمد على الإنسان والفكر... ثم الأشياء... وبالتالي فصناعة الإنسان للحضارة –عندما تتوفر لديه الإرادة والوعي- تحتاج لثلاثة عناصر أساسية لا غنى لواحد منها عن الآخر:

1-إنسان مؤهل للقيام بالدور الحضاري المطلوب معد نفسيا وأخلاقيا لتحمل المسؤولية، ويدخل في عنصر الإنسان الزمان باعتبار الإنسان حقيقة زمانية...

2-فكر يقود خطوات الإنسان ويلهمه ويدفعه إلى التضحية والايثار...

3-أشياء يستطيع الإنسان أن يجد فيها المواد الخام المادية التي يبرر من خلالها فكرة" (عويس، 1408، 161)

و تتجلى أهمية التغيير الاجتماعي عند بن نبي في أنه السبيل الوحيد لدخول الإنسان في الحركة الحضارية.قبل بدء دورة من الدورات أو عند بدايتها يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة، أما في نهاية الدورة فإن الإنسان يكون قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما، فيدخل في عهد ما بعد الحضارة... أن الإنسان الذي تفسخ حضاريا مخالف تماما للإنسان السابق للحضارة أو الإنسان الفطري، فالأول ليس مجرد إنسان خارج عن الحضارة فحسب.

كما هو الحال مع الثاني سميناه فيما سلف "بالإنسان الطبيعي" إذ الإنسان المسلوب الحضارة لم يعد قابلا للإنجاز (عمل متحضر) إلا إذا تغير نفسه عن جذوره الأساسية". (نبي،1987، ص78). والتغيير الاجتماعي عند بن نبي هو دليل على حدث وقع في مكان معين وزمان معين بتأثير الفكرة الدينية تنقل المجتمع من حالة طبيعية بدائية إلى حالة تاريخية حضارية.

1.2 مراحل التغيير الاجتماعي لدى مالك ابن نبي

قانون للتغيير الاجتماعي يطابق قانون الدورة الحضارية محدد بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين ووفق هذا القانون فإن الحضارة "تهاجر وتنقل إلى بقعة أخرى تبحث عن شروطها، وهكذا تستمر في الهجرة وتستحيل خلالها إلى شيء آخر، بحيث تعد كل استحالة (تحويل) تركيبا خاصا للإنسان والتراب والوقت (بن نبي، 1981، ص27).

وإذا كان بعض المنظرين في فلسفة التاريخ وعلم الاقتصاد يرون أن الدورة الحضارية للأمم تمر بمرحلة انحراف، تكون إما نقطة تقهقر لفلاسفة التاريخ ونقطة تقدم لعلماء الاقتصاد، فإن مالك بن نبي يعتبرها نقطة انحطاط وتقهقر من خلال إسقاطه ودراسته لسيرورة المجتمع الإسلامي، فهي أول انفصال في تاريخ تبدأ انطلاقا من معركة صفين عام 38هـ تلك الحادثة التاريخية التي تقابل فيها على بن أبي سفيان رضي الله عنه – والتي حولت مجرى الخلافة الإسلامية من الشورية إلى الوراثية، فلقد وصفها أنها" قصمت الوحدة الشاملة التي بناها محمد صلى الله عليه وسلم – بأمر من ربه مما نتج عنها مقتل علي بن أبي طالب ثم مقتل الحسين بن علي –رضي الله عنهما وانقسام المسلمين أحزابا وشيعة.

تخضع عملية التغيير الاجتماعي لعوامل نفسية وزمنية وتمر عبر ثلاث مراحل: الميلاد، الأوج والأفول تطابقها المراحل الثلاث: الروح، العقل الغريزة إذ يرسم مالك بن نبي صورة تخطيطية لهذا التغيير الاجتماعي في منحنى تصاعدي انطلاقا من الميلاد لتصل إلى الأوج لتنحرف شيء فشيئا لتصل إلى الأفول، وتجدر الإشارة أن مرحلة الأوج تتوسط مرحلتين الروح والغريزة وسماها بمرحلة العقل ويصاحب مرور المجتمع بهذه

المراحل ظهور وتطور الفكرة الدينية فيها ومدى تشبثه بها، إذن فكل القيم النفسية والزمنية التي تميز مستوى حضارة ما في وقت معين، ليست إلا الترجمة التاريخية لهذه العلاقة العضوية بين فكرة معينة كالإسلام مثلا، والفرد الذي يمثل بالنسبة إليها السند المحسوس، وهو هنا المسلم. 1- رسم بياني يوضح مراحل التغيير الاجتماعي عند بن نبي. (بن نبي،1981، ص75).

- مرحلة الروح: (من نزول الوحي إلى موقعة صفين 38 هـ)

تلي مرحلة ما قبل الحضارة مباشرة مرحلة الروح والتي تمثل مرحلة الفطرة، لأن فرد مرحلة الفطرة يكون خاضعا لغرائزه الطبيعية أي أنه الإنسان الطبيعي الفطري "والإنسان الفطري عند مالك المادة الخام المستعدة للتغيير الاجتماعي، ذلك لأنه يحمل في ضميره رصيدا أخلاقيا وروحيا ضخما يؤهله لأن يمارس دوره الاجتماعي ففي مرحلة الروح نجد :أن الفكرة الدينية سوف تتولى إخضاع غرائزه إلى عملية شرطية.... وهذه العملية الشرطية ليس من شأنها القضاء على الغرائز ولكن تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية.

فالحيوية الحيوانية التي تمثلها الغرائز بصورة محسوسة، لم تلغ ولكن انضبطت بقواعد نظام معين" (نبي،1981،ص75).وبالتالي وبالتالي يتحرر الفرد من المقتضيات الروحية (قانون الروح) ويعطي مثالا عن ذلك قصة تعذيب بلال بن رباح الذي واجه السياط برفع سبابته وتكرار قولته " أحد ! ... أحد !..." وهو دليل صمت الغريزة، سماع صوت الروح لسيطرة العقيدة عليه والتي تحدث لغة الدم واللحم.

" في مرحلة الروح نجد أن التغيير ينصب على الإنسان فهو العنصر الجوهري الذي يتغير بالدين ويغير بدوره المحيط الاجتماعي، ويتحول من فرد يخضع لغرائزه إلى شخص يرتبط بالمجتمع بعد أن حولته الشرارة الدينية إلى عنصر فعال متحرك يشكل مع التراب والوقت عوامل التغيير الاجتماعي. يرى مالك أن المجتمع الإسلامي مر بهذه المرحلة حين بدأت عملية التغيير الاجتماعي والنفسي للمجتمع بنزول الوحي الذي أحدث أثره القوي في إنسان ما قبل الحضارة، وبعث فيه شرارة التغيير وتحول

أفراد المجتمع من البساطة والركود إلى دعاة إسلاميين تتجمع فيهم خلاصة الحضارة الجديدة. (موسى، 2006، ص157)

مرحلة العقل:

جعل مالك بن نبي واقعة صفين نقطة تحول وتغير في التاريخ الإسلامي وانتقال المجتمع الإسلامي من مرحلة الروح إلى مرحلة العقل " إن هذه المرحلة تمتاز بأمرين هامين:

1-إن خط الحضارة في المرحلة الأولى كان تصاعديا أما في الخط في مرحلة العقل فهو أفقي.

2-إن القيادة لم تعد الفكرة الدينية وإنما أصبحت للعقل فالمجتمع قد وصل إلى مرحلة الإشباع الروحي، وبزيادة حاجاته وتوسع رغباته المادية والتقنية والعلمية والثقافية وتتولد ضرورات جديدة تدفع بالحضارة إلى الانتقال إلى طور العقل " غير أن هذا العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز، وحينئذ تشرع الغرائز في التحرر من قيودها بالتدريج "فتفقد الروح نفوذها ويكف المجتمع عن ممارسة الضغط على الفرد، وتتناقض الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية،" وطبيعي ألا تنطلق الغرائز دفعة واحدة، وإنما تتحرر بقدر ما يضعف سلطان الروح" (بناسي، 2006، ص62)، إن مرحلة العقل تمثل بالنسبة لمالك بن نبي مرحلة تحلل بطيء وجزئي للمجتمع ونقص في الفعالية، ناجم عن انكماش في تأثير المبدأ /الروح في حياة المجتمع بصفة عامة ونمو في العقل، مما يؤدي ذلك بصفة آلية إلى توقفه عن الصعود الحضاري.

ويسقط ذلك على ما وقع في الحضارة المسحية والإسلامية فالأولى توافق مرحلة الروح عهد شارلمان والمتميزة بالمبدأ الأخلاقي في حين توافق انتقالها إلى مرحلة العقل عهد النهضة ذو الطابع الديكارتي، أما الثانية فتوافق مرحلة الروح من فترة غار حراء إلى نهاية عهد الخلافة الراشدة في حين يوافق انتقالها إلى مرحلة العقل " عهد المماليك (العصر الأموي والعصر العباسي) الأول " فبدل المبدأ اتجه الأفراد إلى تقديس الأشخاص مهما كان قربهم أو بعدهم عن المبدأ، مما نتج عنه بروز مذاهب واتجاهات سياسية وفقهية متصارعة (أتباع فلان وفلان...) أثرت بشكل نسبي على شبكة العلاقات

الاجتماعية بحيث اعترى التمزق بعض الجوانب من خيوطها لعدم سيادة المبدأ في هذه المرحلة سيادة مطلقة "

دون أن ننكر أن هذه المرحلة تميزت بازدهار كبير في المجالات (الطب، الفلسفة، الفلك، الفيزياء...) وخاصة في بغداد والأندلس: ابن سينا، الفرابي، الكندي، ابن طفيل وابن رشد، والخوارزمي.

- مرحلة الغريزة:

هذه المرحلة تأتي بعد العقل وفيها تتدهور الأوضاع الدينية والأخلاقية والاجتماعية والفكرية للمجتمع تصف هذه المرحلة بالانهيار والانحطاط ويخرج المجتمع فيها من طوره الحضاري، فعند خفوت صوت الروح تنطلق الغرائز لأن الفكرة الدينية فقدت رصيدها داخل الفرد وفقد المجتمع سلطته على أفراده، وهذه المرحلة سماها بن نبي عهد الانحطاط أو ما بعد الموحدين لأن سقوط دولة الموحدين، كان خطوة للوراء ففي هذا العهد عرف المجتمع الإسلامي كل الأمراض الاجتماعية السياسية والثقافية، الفقر والجهل والنزاعات بين مختلف الطوائف مع تحجر الفكر وعقمه.

وتتميز هذه المرحلة ببلوغ تحرر الغرائز أوجه وتكشف الغريزة عن طورها " وهنا تنتهي الوظيفة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ وبذلك تتم دورة الحضارة .

2.2 نطاق التغيير الاجتماعي:

يحدد مالك نطاق التغيير الاجتماعي بتحديده الفئات التي يمسها التغيير، ورغم أن بعض هذه الفئات هي عناصر التغيير الاجتماعي إلا أنها في الوقت نفسه تتغير من حالة إلى حالة أخرى بما يتفق مع سمات كل مرحلة من مراحل التغير الاجتماعي، هذه الفئات هي:

1. الإنسان في تحوله من فرد إلى شخص.
2. التراب في تحوله من الحالة الخام إلى التكييف الفني والتشريعي.
3. الزمن في تحوله من الحالة السائبة إلى الاستثمار الاجتماعي.

4. المجتمع في تحوله من المجتمع البدائي إلى المجتمع التاريخي.
5. الثقافة في تحولها من الإطار الغريزي إلى الإطار المربي.

اختلف العلماء والفلاسفة اختلافا بيّنا في تحديد العامل الحاسم والأساس القوي الذي يحدث التغير الاجتماعي وبالتالي يؤدي إلى ميلاد الحضارات الإنسانية المختلفة، فهو عند مؤرخ كآرنولد توينبي يتمثل في عنصر "التحدي والاستجابة"، وعند آوزوالد شبنجلر يتجسد في العامل العنصري حيث فسر الحضارة باعتبارها ثمرة لعبقرية خاصة تسم عصرا معينا بميسم ابتداع أساس كما هو الشأن في (علم الجبر) بالنسبة إلى الحضارة العربية.

أما كارل ماركس فقد رأى بدوره أن الأساس للتغيير الاجتماعي يتمثل في العامل الاقتصادي، فالاقتصاد هو العامل الأساس المسيطر على حركة المجتمعات التاريخية.

أما مالك فيرى أن الطريق لمعرفة الأساس القوي للتغيير الاجتماعي يجب أن يكون باستقراء الوقائع التاريخية الماضية والذي يدلنا على أن (الفكرة الدينية) كانت هي الأساس والمحرك الفاعل لأي حركة تغييرية اجتماعية وحضارية، بحسب المفهوم الذي سبق بيانه للدين عند مالك

3. عوائق التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي

1.3- عوائق نفسية

- **القابلية الاستعمار:** استخدمه بن نبي أول مرة عام 1948م في كتابة شروط النهضة "يشير إلى ضعف حضاري ناجم عن الظروف الاجتماعية والعوامل النفسية التي تحيط بالفرد والمجتمع، والتي تجعله يفكر ويتصرف بطريقة تساعد الاستعمار – كانعكاس لـ "الأنا" خارج إطاره، أي كمحاولة للتوسع على حساب وجود أخر–على التسلط عليه واستغلال ثرواته (لحرش2007، ص54) وتمثل القابلية للاستعمار القابلية للاستلام والاستصغار، ولا تكون إلا في المجتمع المتخلف، ذلك أن عقدة تخلفه التي يعيشها في محيطه من مأكل،

ملبس، مسكن، وسائل الرفاهية، البنايات، المرافق... يعكسها في تقبله لما هو قادم من الآخر المتقدم ورؤيته له بنظرة الكمال.

- **تقديم الحق عن الواجب**: يرى بن نبي دوما أن المطالبة بالحقوق على حساب القيام بالوجبات تنم عنده على الوضعية التاريخية لمجتمع فقد قيمة العمل المشترك والدافع إليه، فأصبح كل فرد يعمل لحسابه الخاص ووفق ما يمليه عليه قانون الطبيعة" أما المجتمع الذي يرتفع وينمو فإن ذلك يعني أن لديه رصيدا من الواجبات فائضا عن الحقوق" (سامية،2002،ص152)
- **ضعف الوعي:** يربط بن نبي بين الشعور العميق الذي يعتري الإنسان المسلم بثقل وضعه المتخلف، وبالوعي بالذات وبوجوب التغيير الذي لا مناص منه، لهذا كان يؤكد على ضرورة تنمية الوعي من خلال تنمية الشعور بالذات، أي بوضعيتها ومصيرها التاريخيين تخلفها وتبعيتها وخصوصيتها الثقافية وانتمائها الحضاري وبقدراتها وإمكانياتها المادية والمعنوية، والوعي بطبيعة الصراع الحضاري والتاريخي.

2.3- عوائق ثقافية

- **عدم القدرة على التعمق في الظواهر في الفكر الإسلامي:** فتعلم الناس القرآن دون أن يجتهدوا في فهمه، الأمر الذي نتج عنه نوع من الجمود الأخلاقي وهو مبني على قياس عقيم " نحن مسلمون إذن نحن أهل المثل الأعلى" عن هذا النوع من تزكية النفس لا يسمح بالنقد الذاتي، ويذكر بن نبي أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يمتاز دوما بمراجعة نفسه والاعتراف بأخطائه" (سامية،2002،ص135)
- **الانفصال بين الفكر والعمل:** أنه فكر لا يتحول إلى فعل أو عمل، ولا علاقة له بالاجتهاد، ويؤدي هذا السلوك إلى تفضيل الكلام على العمل لاسيما بعد القرن 13... الفكر ما هو إلا مجرد ظاهرة سطحية أي أنه لا يخضع لقانون المنطق الصوري أو العلمي" (باي،2006،ص165).

- **إهمال قيمة الوقت والتراب:** الوقت والتراب طرفين أساسين في المعادلة البيولوجية التاريخية للحضارة، وما تشكو منه المجتمعات المتخلفة الهدر الكبير للوقت والتراب دون استثمارهما فالوقت ضائع والتراب جامد، "فكلما كان نشاط الإنسان هادفا فعالا كان لهذين العنصرين قيمة تحددها معاني هذا النشاط، ذلك أن أي نشاط إجرائي منظم يقوم به الإنسان واقع، وفي جانبه المعنوي التقديري بالضرورة في إطار الزمن الذي يحدد بدايته ونهايته، ومتصل في جانبه المادي الموضوعي لا محالة بالتراب الذي يتعامل معه. فإهمال قيمتي الوقت والتراب سيلغي الوعي بالذات والمحيط والرغبة والإرادة بالتغيير.
- **الاعتماد على الأفكار الميتة واستيراد الأفكار القاتلة:** الفكرة الميتة هي فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي، والفكرة القاتلة هي فكرة فقدت شخصيتها وقيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي، فمن كلا الجانبين نجد خيانة للأفكار مما يجعلها سلبية أو ضارة. (السعد، 2007،ص163).

ينبهنا مالك إلى خطورة استعمال الأفكار القاتلة وخاصة القادمة من الغرب، لأنه يعتبرها نفايات وتنم عن حالة تعفن في موطنها فكيف إن عزلناها عن شروطها وأحضرناها لمجتمع غريب عنها كلية.

غير أنه لا يحمل كل الأفكار بل علينا الاختيار "والواقع أن هناك اختيارا، لأنه ليس كل ما في ثقافة الغرب قاتلا" ويتحسر بن نبي " ولكن الوقت الذي يكون فيه الألم أشد والحسرة أكبر هو عندما نحاول إحياء العالم الثقافي المشحون بالأفكار الميتة بالاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى، فهذه الأفكار قاتلة وهي في موطنها الأصلي تصبح أشد قدرة على القتل عندما تنسلخ من هذا المحيط، فهي تترك مع الجذور التي لا تستطيع حملها وتقلها مضادات السميات التي كانت تخفف من شدة ضررها في موطنها الأصلي، وعلى هذا النحو يقتبس المجتمع الإسلامي المعاصر، الأفكار الحديثة والتقدمية من الحضارة الغربية.

3.3 -عوائق اجتماعية:

أثبتت عدة دراسات حول العوائق الاجتماعية تتمثل في مايلي :

أ-العزلة التي يعيش فيها المجتمع: وذلك بسبب الظروف البيئية والموقع الجغرافي أو بسبب قوى استعمارية خارجة عن إرادة الشعب أو كمظهر من مظاهر الانعزال الاجتماعي التي يفرضه المجتمع على نفسه بسبب تمسك المجتمعات التقليدية بكل ماهو مألوف ومعارضة أي محاولة للخروج عما تعارفت عليه الأسرة أو العائلة أو القبيلة . (مصطفى ، 1985، ص360)

ب-عدم تجانس التركيب العنصري والطبقي للسكان:

وهذا العامل يؤدي بالمجتمع إلى الانقسام والصراع وكنموذج فريد ما نجده في بعض المجتمعات من تعدد التركيب السكاني والعنصري قبل ما نجد له نظيرا في دول العالم ،الأمر الذي أدى بالمجتمع السوداني إلى الصراع والاقتتال بين شماله وجنوبه وإعاقة مسار التغير والتقدم في المجتمع.و يقول" **عدلي أبو طاحون"** في كتابه التغير الاجتماعي أن العوائق الاجتماعية للتغير تتعلق بالعناصر التالية : (عدلي، 1996، ص241)

-الالتزام المتبادل داخل الأسرة و الجماعات القرابية و الأصدقاء

- ديناميكيات الجماعة الصغيرة

- الرأي العام.

ج- الرغبة في المحافظة على القديم والخوف من التغير:

ويرجع ذلك إلى تمسك بعض المجتمعات بكل ماهو مألوف ومعارضة أي محاولة للخروج عما تعارفت عليه بسبب الخوف من التغير أو الرغبة في المحافظة على القديم أو الخوف من فقد الامتياز أو الحقوق القديمة كالامتيازات التي يتمتع بها العمد والمشايخ أو بعض القيادات التقليدية. (باي،2006،ص156).

د-**تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية**: ، يمثل القاعدة الصلبة التي ينطلق منها كل عمل تاريخي مشترك، وعلى قدر ما تكون هذه الشبكة متصلة بمبرراتها الروحية تكون قوة تماسك خيوطها (لأن العلاقة الاجتماعية هي انعكاس للعلاقة الروحية)، لذا يتوجب

تكييف الإنسان المسلم اجتماعيا من خلال إحياء سلطة الضمير التي تظهر من خلال الالتزام الأخلاقي والسلوكات المسؤولة التي تخدم المجتمع بدل الفرد.

3.4 -تحديد مالك بن نبي للعوائق الاجتماعية في مايلي يتمثل في :

-غياب منهج تربوي قائم على تربية الإرادة: تتجسد تربية الإرادة لدى مالك بن نبي في رفض إنسان ما بعد الموحدين لوضعه المستاء وفي سعيه الجاد للتخلص منه وتغييره بما يلائم منزلته بصفته مسلما " ولن يتأتي هذا إلا بتربية الإنسان المسلم وتعويده على العمل الدؤوب والمتواصل، والتعامل الذكي مع شروط هذا الواقع الموضوعية في ظل تخطيط مسبق يراعي حوافز العمل: طرقه، وسائله وغاياته ويبين قيمته المادية والمعنوية وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع" (استيتية،2008، ص168).

-اهتراء شبكة العلاقات الاجتماعية: عالم الأشخاص الذي تعبر عنه شبكة العلاقات الاجتماعية في وسط ثقافي ما، هو الذي يوجد عالم الأفكار وعالم الأشياء ويطورهما.

خاتمة:

نستخلص من خلال هذا بان التغير الاجتماعي قانون طبيعي و حتمي و حقيقة وجودية،تشترك فيها جميع المجتمعات على اختلاف درجات المجتمع الإنساني، بدائية كانت أما متقدمة تتغير وإن اختلفت درجة التغير فيها، الذي قد يكون بطيئا وغير ملحوظ في المجتمعات البدائية، هذا التغيير البسيط جزء مكمل لتغيرات واسعة النطاق، وبذلك يعتبر هذا الأخير، جوهر الحياة وصفة أساسية ملازمة للجنس البشري، بحيث يطرأ على الظاهرة الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة التي يمكن ملاحظتها و تقديرها ،وتدخل العديد من العوامل لإحداث التغير في طبيعة البناء الاجتماعي و في النظم و في الأجهزة الاجتماعية

و على ضوء ذلك شغل موضوع التغير الاجتماعي العديد من العلماء في مجالات متنوعة من تخصصاتهم،و هناك تنوع في المقاربات عند معالجتهم للتغير، فبعضهم يرى أن المجتمعات تسير في مسار واحد و ركزوا على عنصر واحد من عناصر الحياة

الاجتماعية و الثقافية و حاولوا تحديد المراحل الزمنية التي سارت فيها المجتمعات وفقا لهذا العنصر، و آخرون على دور الفرد في التغير الاجتماعي ودور الأفكار التي يحملها الأفراد في تغير أنماط الحياة و مساراها، وأن العوامل النفسية و الاجتماعية هي العوامل التي تخلق التغير الاجتماعي، و مجموعة أخرى ترى أن هناك عوامل متعددة ترتبط فيما بينها وظيفيا تساهم في تشكيل المجتمع و تغيره .

كما أثبتت دراسات عديدة أن الاحتكاك الثقافي الواسع الذي أتاح الفرصة لانتشار المؤثرات الحضارية بين الشعوب على اختلاف ثقافتها، إلى جانب زيادة المخترعات والاكتشافات العلمية والتغيرات الكبيرة التي حدثت ولا تزال في مجال التكنولوجيا، كلها عوامل أدت إلى تغيير المجتمعات وبمعدلات سريعة، إلا أن الاتفاق حول العوامل الحاسمة في حدوثه تبقى موضوع جدل ونقاش ،فموضوع التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي يمثل عملية بنائية مستمرة تسعى إلى تحويل الواقع الاجتماعي المختلف إلى تركيب حضاري متقدم مؤكد أن "التغير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة .

وبالتالي نرى بان التغير الاجتماعي اخذ أشكالا أخرى في العصور الحديثة وطابعا عالميا بحيث لا نكاد نجد اليوم مجتمعا في عزلة عن مختلف التأثيرات التي تدفع إلى التغير، و الذي يمس جميع البنى الاجتماعية .

قائمة المراجع:

1. أبو طاحون عدلي. (1996). **في التغير الاجتماعي**. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
2. أبو عمران سامية. (2002). **الحضارة الإسلامية والغرب في رأي المفكرين بن نبي والحبابي.** *مجلة الدراسات الإسلامية*، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد1، ط1، ربيع الثاني 1423هـ/ يونيو 2002م.
3. أحمد بناسي. (2006). **المدخل إلى فكر مالك بن نبي**. الجزائر: الجاحظية.
4. الخشاب مصطفى. (1985)**. دراسات في الإجتماع العائلي**. بيروت: دار النهضة العربية.
5. بغدادي محمد باي. (2006). التربية **والحضارة بحث في مفهوم التربية في تصور مالك بن نبي.** دار عالم الأفكار.
6. عبد الحليم عويس. (1408). **الظاهرة الحضارية في القرأن والسنة**. *مجلة البحوث الاسلامية*، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإقتناء والدعوة والإرشاد، العدد1408هـ.
7. مالك بن نبي. (1981). **وجهة العالم الاسلامي**. الجزائر،دار الفكر.
8. مالك بن نبي. (1987). **شروط النهضة**. الجزائر: دار الفكر.
9. مريم أحمد مصطفى. (1998). **التغير ودراسة المستقبل**. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
10. ملحسن دلال استيتية. (2008). **التغير الاجتماعي والثقافي**. الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
11. موسى لحرش. (2006). **إستراتيجية إستئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي. قسنطينة**: ديوان المطبوعات الجامعية.
12. موسى لحرش. (2007). **مكانة الإنسان في عملية التجديد الحضاري للعالم الإسلامي عند مالك بن نبي**. المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية.

13. نورة خالد السعد. (2007). **قراءة لأفكار مالك بن نبي**. الجزائر: الدار السعودية للنشر والتوزيع.